

الكتاب: "الروايات الروسية"

المؤلف: مايكل أيسيكوف، ديفيد كورن

النشر: Twelve; Unabridged edition

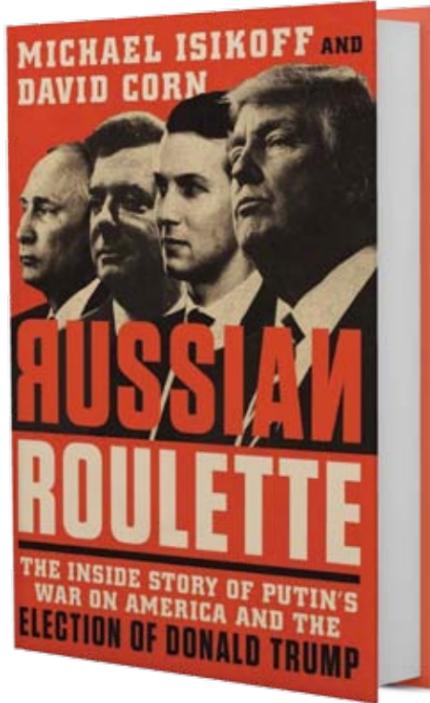
اللغة: الإنجليزية

تاريخ النشر: 13 مارس 2018

عدد الصفحات: 352 صفحة

الرقم المعياري الدولي للكتاب:

ISBN-13:9781538728758



# الروايات الروسية

الذي أُلحنا إليه بأنه كان زيفًا وتدليسًا وخداعًا. وهنا فلا يزال معسكر ترامب يردد شعاره الأثير وهو: «تلك أخبار مغلوطة.. ومعلومات مزيفة، وهي من ثم أبعد ما تكون عن الحقيقة، وأقرب ما تكون إلى الكذب والافتراء». مع ذلك، فهناك مسار محفور بين هذين المعسكرين، وقد شقه مؤلفا كتابنا باعتبارهما من خبراء الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة، حيث عمدًا إلى تدارس عميق لكل ما ارتبط برئاسة ترامب من شائعات وأيضًا من حقائق.

ولقد عمد المؤلفان إلى توجيه اللوم إلى وكالات الاستخبارات في الولايات المتحدة التي كانت بطيئة، في تصورهما، في رصد ومتابعة، ناهيك عن كشف الجهود الروسية من حيث التدخل لصالح المرشح دونالد ترامب في مسير الانتخابات الرئاسية الأمريكية.. وخاصة ما يتعلق مثلًا باتصالات بول مانافورت مدير حملته الانتخابية مع الدوائر الروسية، فضلًا عن علاقات مايكل فلين الذي بادر ترامب شخصيًا إلى إقالته من منصب مستشار الأمن القومي في المقر الرئاسي في واشنطن.

هنا أيضًا يتوقف مؤلفا هذا الكتاب عند عمليات التجسس الإلكتروني التي مارستها موسكو - بوتين من أجل التأثير على الانتخابات الرئاسية عند الغريم الأمريكي.

ولقد يسترعي نظر القارئ لهذا الكتاب أن المؤلفين لم يقصرا البحث والاستقصاء الصحافي على وقائع المشهد الانتخابي في أمريكا خلال سباق 2016، بل إن الخط الاستقصائي الذي رسماه خلال فصول هذا الكتاب يحملهما، كما يحمل القارئ إلى فترات زمنية من سباق المناظرة والتريص العدواني لدرجة ترجع إلى أيام الاتحاد السوفييتي الذي كان المنافس الأقوى لأمريكا خلال حقبة الحرب الباردة (1945 - 1991)، وهي الفترة التي تسوّدت فيها أجهزة الاستخبارات، وفي مقدمتها طبعًا الوكالة الروسية التي نبغ من كوادرها شاب اسمه «فلاديمير بوتين» على وجه الخصوص.

في هذا الإطار لا يتورع مؤلفا الكتاب عن سرد وتحليل

«روتا وروتيللا».. كلمات تصصرف في اللغة اللاتينية إلى معاني العجلة الدوارة.. ومنها اشتقوا مصطلح «روايات» الذي ينسبونه باستمرار إلى العوائد الروسية بحيث يتوصلون إلى اللعبة الخطيرة المهلكة التي تحمل الاسم الشائع التالي: «الروايات الروسية»، وهي لعبة تكاد توصل لاعبيها إلى ما يشبه الإقدام على الانتحار الذاتي، من خلال المراهنة على حياة البشر أنفسهم في معظم الأحيان.

وعلى أساس هذه الخطورة اختار الكاتب الصحافي مايكل أيسيكوف وزميله ديفيد كورن عنوانًا لكتابهما الصادر أخيرًا على النسق التالي: «الروايات الروسية» ويعنى اللعبة الخطيرة التي مارستها وتمارسها روسيا، وهو ما يفسره أيضًا العنوان الفرعي للكتاب الذي نتعامل معه فيما يلي من سطوره ويمكن ترجمته كما يلي: «أسرار حرب بوتين على أمريكا وانتخاب دونالد ترامب».

وبدیهي أن الكتاب يدور على محور أساسي من مقولات ما برحت متداولة في المشهد الفكري - السياسي - الإعلامي بالولايات المتحدة، وخاصة بين معسكرين أساسيين: المعسكر الأول الذي يعمل باستمرار على التئيل من مصداقية الرئيس الأمريكي ترامب وإحاطة شخصيته وراثته وسلوكياته إزاء الشأن العام بقدر لا يخفى من سحابات التشكيك ولدرجة يصل معها أقطاب المعسكر المذكور إلى القول إن الذي أوصل المرشح ترامب إلى البيت الرئاسي الأبيض لم يكن آليات الحزب الجمهوري بقدر ما كان الأمر راجعًا إلى مخططات وعمليات أقرب إلى ألعاب الاستخبارات، وضعتها وعكفت على تنفيذها تلك الدوائر الروسية التابعة لفلاديمير بوتين.. وهنا لا يفوت أركان المعسكر المذكور التلميح المقصود إلى أن «بوتين» هو في الأساس خريج - شاطر طبعًا - لمدسة وأجهزة الاستخبارات الروسية باسمها المعروف (كي. جي. بي).

المعسكر الثاني هو الذي مازال عاكفًا - شأنه شأن السيد ترامب - على التشكيك في هذا كله، ثم على الرفض القاطع الحاسم لفكرة الأصابع الروسية في رئاسة «دونالد ترامب»، واصفًا كل ما يصدر عن المعسكر الأول

نفسه».<sup>(7)</sup>

كل هذه المعطيات وغيرها تقضي بنا إلى أن تعامل الروائي مع المغرب باعتبارها - مكانًا روائيًا - لا ينحصر في استعراض محتوياته وصوره ومؤثاته، بل بما هو مكان عاش في كنفه سليم تجارب عاطفية ملتته ومتقدة.

من هنا تبدو تلك الأماكن غير مستقلة عن سيرته الذاتية، ذات المنحى العاطفي بالذات، لذلك لا تبرز - تلك الأمكنة - معزولة كانت، أو محايدة، أو موضوعية؛ وإنما باعتبارها أمكنة ذوات حمولات عاطفية نبيلة، تتأى بها عن كونها مجرد فضاءات جغرافية صماء، أو أبنية إسمنتية جوفاء، تحتوي على فراغات وجدان وغرف وسقوف...

هكذا نجد أن هناك بلدانًا رسخت في دخيلة الكاتب وطأة الاغتراب، كما نجد أن بلدانًا أخرى مكنته من فرصة الاستقرار، ووفرت له الحد الأدنى من الدفء النفسي والدعم المعنوي، وذلك ما حصل له عند وصوله إلى المغرب في سبعينيات القرن الماضي في مهمة أكاديمية (إلقاء الدرس الافتتاحي بجامعة محمد الخامس بالرباط)، ليتحول هذا اللقاء إلى رباطٍ أسر، وعروة وثقى بهذا البلد الأمين، بعد قراره الاستقرار فيه إلى يومنا هذا.

## خاتمة

في الأخير، وجب التشديد على أن الأمكنة الواردة في هذه الرواية معبأة بمواقف وعواطف وخلجات ومشاعر وانفعالات الروائي عبر سيرته العامة والخاصة، وبهذا ندرك أن من بين أهم العوامل التي ترقى بأمكنة القاسمي في هذه الرواية من مستواها السطحي البارد إلى مستواها الفني الغني والزاخر، غناها العاطفي، يتذكرها سليم، فتتقوى العروة الوثقى بهذا المكان أو ذاك، حيث يشعر الروائي بأن تلك الأمكنة جزء منه، يتذكرها بفرح العاشق الولهان والحالم الرومانسي، الذي يمجّد تلك المحطات من عمره بكل ما لها وما عليها، وهو يردد مع الشيخ المتصوف النفري قوله الرائعة: «الأمكنة التي لا تؤنث لا يعول عليها».

## المصادر:

1. علي القاسمي: "مرافئ الحب السبعة"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:1، 2012.
2. المصدر نفسه، ص:214.
3. المصدر نفسه، ص:215.
4. الصفحة نفسها، ص:215.
5. المصدر نفسه، ص:206.
6. المصدر نفسه، ص:307.
7. المصدر نفسه، ص:311.

(الطالبة الجامعية المغربية آنذاك) شكلت منعطفًا حاسمًا في تولد علاقته مع المغرب، وهي تجربة حب، لا تخرج عن إطار تجارب (سليم) العاطفية المتعددة، المسرودة في هذه الرواية، والتي تتسم بكونها تجارب فاشلة ومقطوعة ومهدورة، والسبب واحد، ألا وهو حب العاشق لوطنه.

وهذا ما تجلّيه العديد من اللحظات المفصلية الصعبة، التي كان فيها العاشق مخيرًا بين المكوث في وطنه أو الهجرة مع الحبيب إلى وطن آخر. هكذا لم تتردد (سوزان) في رفضها العيش مع (سليم) خارج وطنها الأم (أمريكا)؛ كما لم تتردد، كذلك، في التضحية بالحب مهما تولدت أركانها، والشئ بالشئ يذكر. فقد أثر سليم العودة إلى أرض الوطن بدلًا من الإقامة الدائمة مع حبيبته سوزان في أرض المهجر، بعد حصوله على شهادة الدكتوراه.

والأمر نفسه، ينطبق على قصة الحب التي جمعت (سليم) بـ(أثيرة)، التي بدورها فضلت البقاء في وطنها (المغرب) بدلًا من أن تلتحق بحبيبها في بلد آخر، حتى وإن وعدته بأنها ستلحق به إلى الرياض. حتى أن (سليم) لم يكن ينتظر أن يقرأ من (أثيرة) رسالة قصيرة جدًا مفادها: «أحبك أحبك، ولكني لا أستطيع أن أفارق بلدي».

ورغم ما حملته تلك الرسالة من خبر حزين وتيسيس ومؤلم بالنسبة لسليم؛ فإن نار عشق (سليم) لحبيبته (أثيرة) لم يصبه بالوهن، سواء بالنسيان، أو بالكبر، ولكن ها قد «مرّت قوافل الشهور وطوابير السنين وهو ما يزال في فتوته، يتبعني حيثما ذهبت، يوشح ليلى بأكائب الألم».<sup>(6)</sup> وما يزال لم يغلق كل أبواب مرافئ الانتظار خلفه في انتظار عودة حبيبته، وهو يترقب القادمين، ويدقق في وجوه المسافرين، باحثًا - في الزحام - عن ظلها وعطرها وأثرها، عل صدفة جميلة تأتي بها إليه.

ومهما حاول (سليم) أن يتظاهر بأن مفعول عشق حبيبته (أثيرة) قد انتهى، وأن نبض قلبه لا يخفق من ذكراها، غير أن كل ربوع المغرب ظلت عالقة في ذاكرته، وفي روح تلك الربوع يرفرف طيف حبيبته، الذي ظل يلاحقه، ولم يستطع نسيانها حتى بعد مغادرته المغرب. ومرة أخرى يعود (سليم) إلى المغرب بعد خمس سنوات من تلك الليلة الباذخة التي غدت موشومة في ذاكرته، وبالضبط في بحيرة ضاية نحوًا ضواحي مدينة إيفران الجميلة، والتساؤلات تتثال عليه من كل جانب: «لا أدري لماذا، ربما لأفتح جراحات القلب ثانية، وأنشج بكائيات الفراق مرة أخرى، فقد أدمنت على معاقره الحزن ولا أمل بالشفاء، وصار دوائي الوحيد هو الداء

بالغربة كان يتقرّم أمام عملاق طموحه في نيل تلك الدرجة العلمية أو أن ذلك الطموح ملأ عليه جميع مشاعره وغطى على غيره من الخواطر، وكان يؤمل نفسه أن الأمور ستتغير في بلاده وسيعود إلى موطنه»، وتقبل خيباته العاطفية، بكثير من الأسى والألم من جراء منظور الآخر لهاته القيم العاطفية والوجدانية السامية من جهة أخرى، وصولًا إلى تقاضم إحساسه بالغربة. يقول السارد في هذا الصدد: «أما اليوم فلم يعد يشعر بالارتياح إلى الفضاء وما يؤطره من أشجار وحيوان وإنسان. حتى السناجب الصغيرة التي كانت قد أثارت انتباهه وإعجابه عندما وصل أول مرة إلى أوستن، وهي تقطع الشوارع بخفة وتتسلق الأشجار بسرعة، أخذت تزعجه وتثير أعصابه».<sup>(4)</sup>

هكذا نجد أن الغربة علّمت (سليم) الكثير والكثير، وكان من بين ما علمته: أنها رسخت لديه سؤال الأنا، وعلمته، أيضًا، أن يقدر قيمة الأشياء التي سكنت فؤاده، كما علمته سيرة الترحال هذه أن للغربة معاني كثيرة لا يكتشفها الإنسان إلا عندما يجرب الغربة بنفسه. فما أقساه من تعليم حين يصرخ (سليم) في وجه الأقدار: «أنا سندباد بحري جال العالم وقاسي الأهوال والصعاب، وهو اليوم يريد العودة إلى أهله، محملاً لا بالجواهر والذهب، وإنما مثقل بالهموم متخن بالأحزان».<sup>(5)</sup>

لكن الملاحظ أن محطة المغرب في "مرافئ العشق السبعة" شكلت محطة مفصلية، باعتباره فضاء جاذبًا وأسرا وحميمًا ولم يكن فضاء عدوانيًا ولا معاديًا، كما لم يكن محطة للعبور. ففي فضاء المغرب، نجد أن (سليم) سيعوض خسارته، ويلوذ بدوحته، بل ويجعله المستقر الذي لم يبرحه يوماً إلا كي يعود إليه مشتاقًا، حتى أصبح مع مر السنين، جزءًا من سيرته الذاتية بكل أبعادها ومستوياتها.

ومن أبرز الأبعاد التي تحضر بقوة في هذه الرواية، نجد تضافر البعدين العاطفي والسياسي، بالإضافة إلى ما هو معرفي أكاديمي، ذلك ما نرصده في ثنايا الرواية بفنية جذابة، وأسلوب مشوق، وتسلسل أسر في الأحداث والوقائع من بداية الرواية إلى نهايتها. فحتى المغرب الذي لجأ إليه هرويًا من حكم العسكر في العراق، ما هو يصبح هدفًا لرصاص العسكر بعد المحاولة الانقلابية الشهيرة التي عرفها المغرب بداية السبعينيات من القرن الماضي، يومها شعر (سليم) بالضياح مرة أخرى من حظه العائر الذي يطارد، أينما حل وارتحل، مبرزًا سخطه الشديد على حكم العسكر بأية حجة كانت، وتحت أية ذريعة.

غير أن لحظات العشق التي عاشها سليم مع (أثيرة)